المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم

تَعظِيمُ اللهِ تَعَالى
فِي هِدايَات القرْآن الكَريم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

من هدي الأنبياء في تعظيم الله

اسم الباحث

د/ عبدالغني بن سعد الشمراني

د. عبد الغني بن سعد الشمراني

من هدي الأنبياء في تعظيم الله تعالى

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمَّدًا عبده وسوله،،

أمَّا بعد؛ فإنَّ تعظيم الله من أشرف الأعمال القلبية التي تؤثر في السلوك، وتحركه للعمل الحسن، وإن ضعفه باعث علىٰ الانغماس في السلوك السيئ المهين.

وتعظيم الله من أهم أسس الإيمان ومن أوجب الواجبات وأشرف القربات، وقد برز ذلك جليا في حديث القرآن عنه، واهتمامه به، وكما أنزل الله الكتب السماوية ترشد الناس وتنظم تعاملهم معه جعل سبحانه سلوك الأنبياء والرسل تطبيقا عمليا لذلك وقدوة يقتدىٰ بها ويسترشد بأفعالهم وأقوالهم في التعريف بالله والتعامل معه.

ومن هنا يأتي هذا البحث المتواضع ليبيِّن شيئًا من عظمة القدوات في تعاملهم مع الله وتعظيمهم له.

أهمية الموضوع:

تتضح أهمية الموضوع -إلىٰ جانب ما تقدم- في الآتي:

١- الحاجة إلىٰ العناية بالموضوعات التي تهتم بالقيم والأخلاق والسلوك، فهي أسرع طريق لتغيير واقع الناس، وقد ركزت السور المكية علىٰ ذلك، يقول ابن المبارك: نحن إلىٰ قليل من الأدب أحوج منا إلىٰ كثير من العلم.

٢- الحاجة إلىٰ الاسترشاد بحال الأنبياء والرسل الذين جمعوا بين الجانب المعرفي في تعظيم الله وبين الجانب السلوكي.

٣- قلة الدراسات التي اهتمت بجانب تعظيم الله وإظهار جوانب الاقتداء من حياة الأنبياء والرسل في الساحة والانصراف إلىٰ الاهتمام بغيرهم ممن ليس لهم عصمة الأنبياء، ولم نؤمر بالاقتداء بهم.

٤- عدم الموازنة في الحديث عن تعظيم الله بين المغلبين للمحبة كالمرجئة وبين المغلبين للخوف كالوعاظ والخوارج.

٥- عناية الموضوع بالجوانب العقدية السلوكية، وقد غلب علىٰ بعض المسلمين قصر حديثهم العقدي علىٰ مسائل نظرية أو مسائل لها أثر في السلوك لكن لا يُعتنىٰ بإبراز الجوانب السلوكية العملية فيها كما يعتنىٰ بتقرير الجوانب النظرية.

أسباب اختيار الموضوع:

ومن أسباب اختيار الموضوع ما يأتي:

١- الحاجة إلىٰ تجلية مفهوم تعظيم الله من خلال حياة الأنبياء والرسل الذين أمرنا الله بالاقتداء بهم.

٢- الكشف عن جانب مهم في تعظيم الله وهو التوازن بين محركات القلب (الحب والخوف والرجاء) من خلال سير الأنبياء والرسل الذين هم أعرف الناس بالله.

٣- توثيق صلتنا بالأنبياء عليهم السلام علما ومحبة واقتداء من خلال دراسة حياتهم واستنباط معالم وهدايات نسترشد بها في حياتنا.

أهداف الدراسة:

تروم هذه الدراسة تحقيق الأهداف الآتية:

١- بيان هدي الأنبياء في تعظيم الله.

٢- إظهار جمع الأنبياء في تعظيم الله بين محبته والشوق إليه وبين الخوف والخشية منه.

٣- بيان أهمية الربط في تعظيم الله بين جانب المعرفة وبين جانب العمل، فهما متلازمان.

٤- أن العقيدة هي المحرك للسلوك والجوارح وليست معلومات نظرية كلامية.

٥- ابراز أن عبادة الله وتوحيده أساسها تعظيم الله، وأن عكسها الشرك والعصيان أساسه الجهل بالله وعدم معرفة قدره وعظمته ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١].

٦- عرض جانب من حياة الأنبياء الذين أمرنا الله بالاقتداء بهم.

مشكلة الدراسة:

لاحظ الباحث أن هناك من يقدم موضوع تعظيم الله مهتما بجانب المحبة وإغفال جانب الخوف والخشية من الله، والاستدلال علىٰ ذلك بفعل بعض الصالحين وما روي عنهم من

آثار، فرأىٰ أن ذلك قصور في تعظيم الله، واقتداء بمن لم نؤمر بالاقتداء به، وبمن ليس فعله معصوما، فدعاه ذلك إلىٰ استنباط معالم من هدي الأنبياء في تعظيم الله.

أسئلة الدراسة:

تسعىٰ هذه الدراسة - بناء علىٰ الإشكالية السابقة - إلىٰ الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- ما هدي الأنبياء -ما الأمور المشتركة بينهم- في تعظيم الله؟

٢- ما الجوانب البارزة في حديث الأنبياء عن تعظيم الله - الجانب المعرفي النظري؟

٣- ما الجوانب البارزة في تعظيم الله عند الأنبياء في الجانب العملي السلوكي؟

الدراسات السابقة:

١- **المنهج القرآني في تعظيم الله**، سليمان عقاب الزعبي، رسالة دكتوراه في جامعة العلوم الإسلامية العالمية، تحدَّث في الفصل الثاني عن: تعظيم الأنبياء لله في القرآن الكريم، وذكر ثلاث وسائل: الدعوة إلىٰ التوحيد، وإلىٰ العبادة، وتحقيق العبودية، وقد اقتصر علىٰ ذكر أمرين نظريين فقط ولم يذكر تفاصيل الأنبياء في دعوتهم لأقوامهم في توحيد الربوبية ولا أساليبهم المتعددة في توحيد العبادة والتي استغرقت حياتهم ودعوتهم كلها ثم تحدث عن جانب تطبيقي واحد وهو عبادتهم لله، ولم يذكر معالم عبادات الأنبياء كما أنه لم يذكر أدلة خاصة علىٰ حب الأنبياء لله، وبحثي في تفريق بين الجوانب النظرية في حديث الأنبياء عن الله وبين الجوانب التطبيقية السلوكية وتفصيل لتلك الجوانب.

٢- **أدب الأنبياء مع الله في ضوء الكتاب والسنة**، أحمد عبد الله الحصيني، رسالة ماجستير في جامعة أم القرىٰ، جعل الباب الأول في أدبهم مع الله في العبادات الباطنية، والباب الثاني في أدبهم مع الله في العبادات الظاهرة، وقد قام بحصر الآيات والأحاديث في ذلك، وبحثي ليس في عبادات الأنبياء وإنما في استنباط طرق تعظيم الله عندهم، ومعرفة الأمور التي أولوها عناية واهتمامًا لأنها توصل إلىٰ تعظيم الله، كما أنني لم أجد -حسب علمي- مَنْ جَمَعَ أساليبهم في الحديث عن الربوبية ولا عن الألوهية.

منهج الدراسة:

سأسير في دراستي هذه إن شاء الله وفق المنهج الاستقرائي الاستنباطي وقد ألجأ إلىٰ التحليلي.

خطة الدراسة:

تتكون هذه الدراسة من مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة كالآتي:

المقدمة (وفيها: التعريف بموضوع الدراسة. أهمية الموضوع. أسباب اختيار الموضوع. أهداف الدراسة. مشكلة الدراسة. أسئلة الدراسة. الدراسات السابقة. منهج الدراسة. خطة الدراسة).

تمهيد (تعريف بمصطلحات الدراسة): هدي -الأنبياء- تعظيم الله.

المبحث الأول: هدي الأنبياء في تعظيم الله من خلال الجانب النظري المعرفي

وفيه مطالب:

المطلب الأول: الحديث عن الله.

المطلب الثاني: الأمر بإفراد الله بالعبادة.

المطلب الثالث: التذكير بنعم الله تعالىٰ.

المطلب الرابع: التذكير بقوة الله وبطشه.

المبحث الثاني: هدي الأنبياء في تعظيم الله من خلال الجانب العملي السلوكي

وفيه مطالب:

المطلب الأول: اهتمامهم بالعبادة وإكثارهم منها.

المطلب الثاني: لجوؤهم إلىٰ الله.

المطلب الثالث: محبة الله وطلب رضاه.

المطلب الرابع: الخوف من الله وخشيته.

الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات.

التمهيد
(تعريف بمصطلحات البحث)

الهدي:

لغة: الطَّريقة والسَّيرة والهيئة والسَّمت، يقال: فلان يهدي فلانًا، أي: يفعل مثلَ فعله، ويسير سيرتَه، ومنه قولهم: ما أحسن هديَه، أي: سمته وسكونه[1]، وفي الحديث: «**وأحسن الهدي هدي محمد** ﷺ»[2].

اصطلاحًا: الطَّريقة والمذهب، ومنه: «**اِهتدوا بهَدي عمَّار**»[3]، والسَّمت[4]، والسِّيرة والدِّين[5].

الأنبياء:

لغة: جمع نبيّ، والنَّبيُّ مشتقٌّ من النبأ، بمعنىٰ الخبر، قال تعالىٰ: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢﴾ [النبأ]، أو: من النَّبْوَة والنَّبَاوَة، وهي: الارتفاع عن الأرض، فهو أشرف علىٰ سائر الخلق[6].

اصطلاحًا: تعدَّدت تعريفات العلماء للنَّبيِّ، فمنها: مَن أُوحي إليه بمَلَك، أو: أُلهِمَ في قلبه، أو: نُبئ بالرُّؤيا الصَّالحة[7]، وقيل: الذي يُخبر بما أنبأه الله به، فإن أُرسل مع ذلك إلىٰ مَن خالف أمرَ الله فهو رسولٌ. وأمَّا إذا كان يعمل بشريعة مَن قبله، ولم يرسَل إلىٰ أحد فهو نبيٌّ، وليس برسول[8].

---

(١) تاج العروس (١٠/ ٤٠٧).
(٢) أخرجه البخاري (٦٠٩٨).
(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم (٦/ ١٥٤). والحديث أخرجه التّرمذي (٣٨٠٥)، وقال: «حسن غريب»، وصححه الألباني في (الصَّحيحة: ١٢٣٣).
(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح (٨/ ٣٥٢).
(٥) المفاتيح في شرح المصابيح (١/ ٢٣٨).
(٦) لسان العرب، لابن منظور (١/ ١٦٢).
(٧) التعريفات (٣٠٧).
(٨) النبوات (٢/ ٧١٤) بتصرف.

التعظيم:

لغة: من عَظُم، وهو الكبر والقوة، فالعِظَم: مصدر الشَّيء العظيم. وعظَّمته أنا. فإذا عَظُم في عينيك، قلتَ: أعْظمتُه واستعظمْتُه. ومُعْظَم الشَّيء: أكثره[١]. وقال ابن منظور: «والعَظِيمُ: الذي جاوَزَ قدْرُهُ وجلَّ عن حدودِ العُقول حتىٰ لا تُتَصَوَّر الإحاطةُ بكنْهِه وحَقِيقتِهِ»[٢].

والتَّعْظيمُ: التبجيلُ، واستعظَمَ وتَعَظَّمَ: تكبَّر[٣]. والتَّعظيم في النَّفس: هو الكِبرُ والزَّهو والنَّخوة، والعَظَمة والعَظَموت[٤].

اصطلاحًا: عُرِّف بتعاريفَ، منها: معرفة العظمة له -سبحانه- مع التَّذلُّل[٥]. وقيل: الذي يُعظِّمه خلقُه، ويهابونه، ويتَّقونه، فالعظيم: ذو العَظَمة والجلال في مُلكه وسُلطانه[٦]. وقيل: المُعَظَّم وصفٌ منه نفسَه بالعِظَم. وكلُّ ما دونه من خلقه فبمعنىٰ الصِّغر، لصغرهم عن عظمته[٧]. وقيل: الجامع لصفات العظمة والكبرياء والمجد والبهاء، له كلّ وصف ومعنىٰ يوجب التَّعظيم المستحقّ لكلّ أنواع التعظيم التي يعظِّمه بها عباده[٨].

قال ابن القيم في النونية[٩]:

وهُو العظيمُ بكلِّ معنًىٰ يُوجِبُ التَّعْـ ـــظِيمَ لا يُحصِيْهِ مِنْ إنسَانِ

وهدي الأنبياء في تعظيم الله: سيرتهم وطريقتهم في إجلال الله وتوقيره ومحبته محبَّة خشيةٍ وتذلُّل -سواء لأنفسهم أو لأقوامهم-؛ لأنَّه -تعالىٰ- تولَّىٰ هدايتهم وتأديبهم وعصمتهم عن الضَّلال والإضلال[١٠].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٣٥٥).
(٢) لسان العرب (١٢/ ٤٠٩)، (مادة عظم).
(٣) الصحاح (٥/ ١٩٨٨).
(٤) الصحاح (٥/ ١٩٨٧)، وانظر: لسان العرب (٩/ ٢٨٠)، والقاموس المحيط (١١٣٨، ١١٣٩).
(٥) مدارج السالكين (٢/ ٤٦٤).
(٦) اشتقاق أسماء الله (١١١).
(٧) جامع البيان للطبري (٣/ ١٤، ١٥).
(٨) انظر: بدائع الفوائد (١/ ١٧٥)، الحق الواضح المبين (٢٧).
(٩) الكافية الشافية (٢٠٣).
(١٠) فيض القدير شرح الجامع الصغير (٢/ ١٧٥).

المبحث الأول: هدي الأنبياء في تعظيم الله من خلال الجانب النظري المعرفي

المطلب الأول: الحديث عن الله

الحديث عن الله فرع عن العلم به، وموصل إلىٰ تعظيمه وخشيته ومحبته، يقول تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، قال مسروقٌ: كفىٰ بخشية الله علمًا، وكفىٰ بالاغترار بالله جهلًا. وقال الشَّعبيُّ: إنَّما العالم من خشي الله عزَّ وجلَّ[١]. ويقول ابن القيِّم: «هذه المنزلة -التَّعظيم- تابعة للمعرفة، فعلىٰ قدر المعرفة يكون تعظيم الرَّبِّ -تعالىٰ- في القلب، وأعرفُ النَّاس به أشدُّهم له تعظيمًا وإجلالًا، وروح العبادة هو الإجلال والمحبة، فإذا تخلَّىٰ أحدهما عن الآخر فسدت»[٢]. وصفات الله بلغت غاية الكمال والجلال والشَّرف والعلو، فيمتلئ القلب بتعظيم الله[٣].

والأنبياء أكمل البشر وأقربهم من الله، وأعرفهم به، وهذا يدعونا إلىٰ التأمل في حديثهم عن صفات الله وأسمائه التي يكثرون الحديث عنها، فلا شكَّ أنّها مؤثرة في سلوك البشر وجامعة لغيرها من الأسماء والصفات، أو مفتاح لها، وإلَّا لما أكثروا الحديث عنها. **فمن حديث الأنبياء عن الله: بيانهم أنَّ الرَّبَّ هو المتفرِّد بالرُّبوبية**، ويندرج تحته حديثَهم عن صفة الخلق، فهي مفتاح الرُّبوبية: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل]، «والرَّبُّ: مَن اجتمع فيه ثلاثة أوصاف: الخلق، الملك، التدبير. فهو الخالق المالك لكلّ شيءٍ المدبِّرُ لجميع الأمور»[٤].

وتجد الأنبياء يكثرون من الاستدلال علىٰ الرُّبوبية بصفة الخلق ويُنَوِّعون الاستدلال بها، مرَّة يستدلُّون بخلق السَّموات والأرض، ومرَّة بخلق الإنسان، ومرَّة بخلق الكون كلّه وتسخيره للإنسان، ويُنَوِّعون التَّعبير عن هذه الصِّفة بلفظة خالق، أو خلق، أو بلفظة فاطر، وهي أعمق وأدق، لتشمل المبدع والمبدئ والمنشئ للخلق علىٰ غير مثال سابق، فتشمل أسماء الله (الخالق، البارئ، المُصوِّر)، يقول الخليل موقِظًا فِطَر قومه: ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ

---

(١) معالم التنزيل (٦/ ٤١٩).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٤٦٣).

(٣) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات (٣٦).

(٤) تفسير الشيخ ابن عثيمين (١/ ٩).

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ [الأنبياء]، ويقول هود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾[هود: ٥١]، ويقول نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ جامعًا بين دلالات صفة خلق الله للإنسان وخلق الله للكون وتسخيره لنا وأنَّها باعثة لتعظيم الله: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ﴿١٣﴾ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴿١٩﴾ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴿٢٠﴾﴾[نوح].

تَعَجُّبهم ممَّن اتّخذ ربًّا غير الله ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[الأنعام: ١٦٤].

استدلالهم بتفرد الله بصفات لا يستطيعها غيره ممَّن اتُّخِذوا أربابًا، كالإحياء والإماتة والإتيان بالشَّمس من المغرب ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾[البقرة].

استدلالهم بعظمة سعة ملك الله، فالكون كله له بعوالمه العلوية والسفلية التي لا تراها عيناك، ولا يستوعبها عقلك، ولا تُحصَىٰ عددًا، ولا تُحَد زمانًا، ولا تحصر مكانًا، «**سبحان الله عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته**»(١)، وقال موسىٰ في مناظرته مع فرعون: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾[الشعراء] أي: إن كنت تزعم -يا فرعون- أنَّك ربٌّ بحُجّة ملكك لمصر، فإنَّ ربِّي يملك السَّموات كلَّها، والأرض كلَّها، وما بينهما، ممَّا تراه فتحسبه فضاء فارغًا لا حياة فيه. ثمّ تدرَّج في الاستدلال من سعة ملك الله للكون كله إلىٰ ملك الله للبشر كلِّهم، فيقول: ﴿قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾﴾[الشعراء] أي: إن كنتم تزعمون أنَّ فرعون ربُّكم، فإنَّه ربُّ مَن رضي من أهل مصر بعد تولِّيه العرش، فمن ربُّ مَن لم يرض بحكم فرعون من أهل مصر؟ ومَن ربُّكم قبل تولِّي فرعون؟ ومن ربُّ آبائكم قبل وجود فرعون؟ إنَّ ربِّي هو ربُّكم وربُّ آبائكم الأوَّلين، حيٌّ لا يموت، قيُّوم لا ينام(٢)، ثمّ ساق الدَّليل الثَّالث من صفات الرُّبوبية: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا

(١) أخرجه مسلمٌ (٢٧٢٦).

(٢) صفة ربوبية الله واتصافه بالكمال وصمديته لخلقه استخدمها إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في مناظرته لقومه عبدة الكواكب والعلويات لمَّا قال: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾[الأنعام: ٧٦]، وقال: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًا﴾[الأنعام: ٨٠].

بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾[الشعراء]، فمخلوقات الله لا يحصرها الزَّمان، فهي ممتدة زمانًا كما هي ممتدة مكانًا وبُقعة: ﴿۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾﴾[الأنعام].

استدلالهم بعظمة مخلوقات الله فعظمة المخلوق ودقته وإتقانه دالة علىٰ عظمة الخالق الصانع ولا أعظم من العرش يليه الكرسي ويليه حملة العرش ولا أصغر من البعوضة والذبابة وقد تحدىٰ سبحانه غيره أن يخلقوا ذبابا أو يسترجعوا ما أخذه منهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾[الحج].

إثباتهم كمال ذات الله وصفاته، ونقص وعجز غيره ممن اتخذ ربًّا: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾[مريم]. وهذه الآية دعتني إلىٰ الاهتمام بهذا المبحث، فإنَّ الخليل اختار كلمات موجزة مختصرة تبعث عظمة الله في نفس والده، وهذه الثلاث طريق إلىٰ إثبات حياته سبحانه وقيوميته وصمديته، وفيها إثارةٌ لمحبَّة الله الكامل، ولشهود منَّته وتحريك كوامن النَّفس لمراقبته، والخوف منه.

إخبارهم أنَّ الكون كلُّه يثبت ربوبية الله له، ومَن أنكر ذلك كان من الشَّواذِّ: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾[آل عمران].

استشعارهم معية الله لهم: حول الخسارة والفقدان عند الخليل إلىٰ كسب ووجدان، فعند ما خسر البلد والعشيرة، وخرج منهم قال: ﴿إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾[العنكبوت: ٢٦] فهو خالقي، والعالِم بواقعي، ومدبِّر أمري، ومصلح شأني، ومغيّر حالي.

وهذا هودٌ يقف كالجبل الشَّامخ أمام رجال قومه متحديًا لهم، قائلا: ﴿إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾[هود] «كيف أخاف من ناصيته بيد غيره وهو في قبضته وتحت قهره وسلطانه. هل هذا إلَّا من أجهل الجهل، وأقبح الظلم»[(١)]، ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ «لا يضيع عنده معتصمٌ به»[(٢)]. وكلمة الرَّبِّ تثير في النَّفس معانٍ، منها:

(١) بدائع التفسير (٢/ ٥٦).

(٢) دعوة الرسل (٨٥).

«المتكفِّل بخلق الموجودات وإنشائها، المدبِّر لها، القائم علىٰ هدايتها وإصلاحها، المربِّي لأوليائه، الموفقهم للإيمان به، الذي يحفظهم، ويدفع عنهم الصَّوارف»[1].

افتخارهم واعتزازهم بأنَّ الله هو ربُّهم: الذي فطرهم، وأوجد الكون كلَّه، وسخَّره لهم ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[البقرة: ١٣١].

فقههم في أسماء الله وصفاته، فيستعملون الاسم والصِّفة في السِّياق المناسب لها، «وهذا علم شريف خص الله به أنبياءه يدل علىٰ ذلك حديث: (يُلقَّىٰ عيسىٰ حُجَّته، ولقَّاه الله في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، قال ﷺ: «فلقَّاه الله ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة]»[2]. مثال ذلك قولُ نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾[هود: ٤٥]، ولم يقل: وأنتَ أرحمُ الرَّاحمين «وهذا من كمال علمه بأسماء الله وصفاته وآثارها؛ لأنَّ المقام مقام تفويض واستسلام لحكمة الله التي اقتضت أن يكون ابنُه مع الهالكين».

المطلب الثاني: الأمر بإفراد الله بالعبادة

من تعظيم الله إفراده بالعبادة وحده، وصرفها له. وقد ظهر ذلك جليًّا في حديث الأنبياء وأمرهم به، ولم يكتفوا بالأمر الصَّريح فقط، بل أمروا به وبما يساعد عليه، وحذَّروا مما يناقضه، ونَهَوا عنه، ويمكن استنباط معالمِ حديث الأنبياء عن إفراد الله بالعبادة وحده وأهميته في تعظيم الله فيما يلي:

١- **اتِّفاقهم جميعًا علىٰ هذا المطلب**: فكلُّ الأنبياء جاؤوا بهذا المطلب، فلم يأمروا بعبادة الله فقط، وإنَّما بإفراده بالعبادة، وهي: (أصل رسالة الأنبياء)[3]، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[النحل: ٣٦]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء]، وقال ﷺ: «أَنَا أَوْلَىٰ النَّاسِ بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،

---

(١) الأسماء الحسنىٰ تصنيفًا ومعنىٰ (٨٢).

(٢) أخرجه التّرمذي (٣٠٦٢)، وقال: «حسن صحيح»، وصحّحه الألبانيُّ في (صحيح سنن التّرمذيّ).

(٣) المنهج القرآني في تعظيم الله (٦١).

وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّىٰ وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»[(١)]. وعمل الرُّسل هو التَّذكير والأمر بالغاية التي من أجلها خُلِق الخَلْق، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[الذاريات] «أي: لآمرهم بعبادتي، لا لاحتياجي إليهم»[(٢)].

٢- **ابتداؤهم به قبل غيره:** فكلُّ رسول يفتتح دعوته بأمر قومه أن يُفردوا العبادةَ لله وحده: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]، فلقد علموا من ربِّهم أنَّه أوَّل أمر يجب أن يُدعىٰ النَّاسُ إليه، وأنَّ البدء في الدَّعوة إلىٰ غيره من الأحكام حتَّىٰ الصلاة= مخالفٌ لأمر الله[(٣)].

٣- **الوصية به:** فيوصي النَّبيُّ أبناءه وأتباعه بالموت علىٰ عبادة الله وحده (الإسلام)، قال تعالىٰ: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾[البقرة].

٤- **الدُّعاء به:** إبراهيم الخليل يدعو بالثبات عليه: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، وإنَّك لتتعجب حقًّا من دعائه، فهو الخبير في محاربة الشِّرك ونسفه بالأدلة العقلية، مَن شرَّفه الله بالخُلَّة، ونَسَب إليه المِلَّة، ومع ذلك كلّه يتوجَّه إلىٰ الله بصدق وإلحاح أن يعينه علىٰ تحقيق التَّوحيد والثَّبات عليه هو وبنيه!! إذا كان هذا هو حال الخليل مع الشِّرك، فكيف يأمن مَن بعده الوقوع في الشِّرك؟! ويجعلك توقن أنَّ إضلال الأصنام لعابديها ليس محصورًا في صورة واحدة، وأنَّ مُسمَّىٰ الأصنام تتغير بتغيِّر الأزمان.

٥- **بيانهم أنَّ عبادة الله لا تكفي، بل لا بدَّ من اجتناب ضِدِّها:** فقد أخذ الأنبياء -عليهم السَّلام- يؤكِّدون ويقرِّرُون هذه المسألة -أنَّ عبادة الله لا تنفع إذا أشرك معه غيرَه، بل لا بدَّ من إفراد الله بالعبادة- بألفاظ وصور متعددة، منها:

أ- **نفي وجود المشارك لله في العبادة:** ويتكرر تقرير ذلك في قول الأنبياء لأقوامهم: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾[الأعراف: ٥٩].

ب- **النهي عن عبادة غير الله:** قال تعالىٰ: ﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾[فُصِّلَت: ١٤].

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٣٤٤٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٤٢٥).

(٣) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (٩٥).

ج- **الأمر باجتناب عبادة غير الله:** قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦]، فرسالتهم قائمة علىٰ اجتناب ما يعبد من دون الله فعلًا وقولًا وحالًا.

د- **الأمر بإخلاص العبادة لله وحده:** قال يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[يوسف: ٤٠]، قال أبو العالية: «أُسِّس الدِّينُ علىٰ الإخلاص لله وحده لا شريك الله»[(١)]. قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾[البيِّنة: ٥].

ه- **الميل عن المشركين عبدة غير الله، وعن طريقتهم:** فقد وصف الله الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنَّه حنيفٌ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾[النحل: ١٢٠]، قال ابن عبَّاس: «الحنيف: المائل عن الأديان كلِّها إلىٰ دين الإسلام»[(٢)]. «وكان هذا مدحًا للمِلَّة؛ لأنَّ النَّاس يوم ظهور مِلَّة إبراهيم كانوا في ضلالة عمياء، فجاء دينُ إبراهيم مائلًا عنهم، فلُقِّب بالحنيف، ثمَّ صار الحنيفُ لقبَ مدحٍ بالغلبة»[(٣)].

و- **التَّصريح بالبراءة ممَّا سوىٰ الله:** قال تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[الممتحنة: ٤]، وقول الخليل: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ۝٢٧﴾[الزُّخرُف].

ز- **التَّصريح بالعداوة لهم:** قال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ۝٧٧ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۝٧٩﴾[الشعراء].

ح- **إعلان الكفر بتلك الآلهة:** قال تعالىٰ عن إبراهيم: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾[الممتحنة: ٤].

ط- **التَّصريح بالبغض والكراهة بالقلب واللِّسان والجوارح** ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾[الممتحنة: ٤] أي: «ظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا علىٰ كفركم بالله وعبادتكم ما سواه»[(٤)]، والبغض بالقلوب والعداوة بالأبدان[(٥)].

---

(١) جامع البيان (١٦/ ١٠٦).
(٢) معالم التنزيل (١/ ١٥٥).
(٣) التحرير والتنوير (١/ ٧٣٧).
(٤) جامع البيان (٢٣/ ٣١٧).
(٥) تيسير الكريم الرحمن (٨٥٤).

ي- **اعتزال تلك المعبودات وهجرها:** قال تعالىٰ: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى﴾[مريم: ٤٨].

٦- **أنَّ عبادة غير الله افتراء وكذب:** قال شعيبٌ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا﴾[الأعراف: ٨٩]، وقال الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾[الصافات].

٧- **لا دليل ولا بينة علىٰ إلهية تلك المعبودات:** فقد قال يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾[يوسف: ٤٠] سمّيتموها آلهة من عند أنفسكم ما أنزل الله ذلك في كتاب[(١)]. وليس لذلك مستند من عند الله[(٢)].

٨- **إثارة تساؤلات لزعزعة الاعتقاد الباطل:** فمرَّة بإثارة تساؤلات عن تلك الآلهة ما هي: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾[الأنبياء: ٥٢]، ثمّ تأتي الإجابة: ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنبياء]، ﴿بَل فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾[الأنبياء: ٦٣]، فكانت إجابته مفحمة لهم، فقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾[الأنبياء: ٦٥]. ومرَّة يفتتح السُّؤال ويتدرَّج معهم في صفات الإله الحقِّ: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾[الشعراء]، ثمَّ يبيِّن لهم صفات الإله الحقِّ: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾[الشعراء].

٩- **تعجبهم واستنكارهم لمن يعبد غير الله:** كيف خالف عقله وفطرته، وعبد ما لا ينفع ولا يضرُّ نفسَه، فضلًا عن عابده: ﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾[الأنعام]، وقال موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾[الأعراف: ١٤٠]، «فالاستفهام للإنكار والتعجب من طلبهم»[(٣)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٢١٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٩٠).

(٣) التحرير والتنوير (٩/ ٨٣).

١٠- **استشعارهم أنَّ عبودية الله أعظم نعمة**: فلن يتنازلوا عنها، وسيصبروا علىٰ الأذىٰ فيها: ﴿قَالَ أَتُحَآجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ﴾[الأنعام: ٨٠]، وقال الأنبياءُ لرُسُلهم: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَا﴾[إبراهيم: ١٢].

١١- **إرشادهم أقوامهم لأمور تساعدهم علىٰ عبادة الله وحده**: من ذلك:

أ- **تحبيب الله في قلوبهم**: ومن أساليب ذلك: تذكيرهم بنعم الله عليهم[(١)]، وبأنّهم عباد لله الذي يدعوهم إلىٰ عبادته ومغفرة ذنوبهم ، قالت الرُّسل عن الله: ﴿يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾ [إبراهيم: ١٠]، وقال صالح: ﴿فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ﴾[هود: ٦١].

ب- **الوصية بالاستغفار والتَّوبة**: والاستغفار هو: طلب محو ذنب مضىٰ وإزالة أثره. والتَّوبة هي: الرُّجوع عمَّا يكرهه الله في المستقبل ظاهرًا وباطنًا إلىٰ ما يحبه ظاهرًا وباطنًا[(٢)]، وقيل: الاستغفار باللِّسان والتَّوبة بالقلوب والجوارح[(٣)]. والعجيب أنَّ هاتين الوصيتين تكرَّرتا مع وصية الأمر بعبادة الله في (سورة هود) عدَّة مرات: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾[هود] ممّا يدل علىٰ أنّها طريقٌ لرحمة الله، ولذا عقَّب بعدها ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ﴾ [هود: ٩٠].

ج- **تخويفهم من عذاب الله إذا عبدوا معه غيره**: ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾[الأعراف: ٥٩]، ﴿وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[المائدة: ٧٣].

١٢- **أنه لا انفصال بين الرَّبِّ والإله في الوجود، ولكنهما متغايران في المعنىٰ لا مترادفان**: وهذه من أبرز الإشكالات قديمًا وحديثًا. فكان المشركون يُقرُّون أنَّ الله هو الرَّبُّ، ولكنهم من باب تعظيمهم لله لا يرون أهليتهم لعبادة الله مباشرة، فاتَّخذوا إلهًا يقوم بالوساطة بينهم وبين الله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[الزُّمَر: ٣]، فعطَّلوا الرَّبَّ عن العبادة لشُبهة التَّعظيم، بينما عظَّموا غيرَه

---

(١) وسيأتي الحديث عنها في المطلب الثالث.

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٣٢، ٣٣٥، ٣٤٤).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٠٧).

فقلبوا حقيقة العبادة[١]، وعليه؛ فلا وجود لربٍّ لا يصلح أن يكون إلهًا، ولا لإله لا يملك صفات الرُّبوبية. وإنَّما الرَّبُّ هو المتَّصف بصفات الكمال. والإله هو الذي يُقصد بالعبادة لكماله، فتوحيد الرُّبوبية توحيد علمي بالله، وتوحيد الألوهية تفعيلٌ لتوحيد الرُّبوبية بأن يطبق ذلك العلم بالعمل، وبعض المعاصرين وقع في خطأ المشركين نفسه لشُبهة التَّرادف بين لفظة الرَّبِّ ولفظة الإله، ففسَّر الإله بمعنىٰ الرَّبِّ، فمن تفسيرات الإله عنده: القادر علىٰ الاختراع، فلا يوجد عنده شرك واسطة، والحقُّ أنَّ الإله معنىٰ آخر مغاير للرَّبِّ، فمن تفسيراته: المعبود المقصود بالعبادة والتعظيم قولًا وعملًا -بأعمال القلب والجوارح-[٢].

المطلب الثالث: التذكير بنعم الله

إنَّ تعظيم الله قائم علىٰ كمال الحبِّ مع كمال الذُّلّ والخشية، وباعث الحبِّ هو تذكُّر النِّعم والإحسان، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾[إبراهيم: ٣٤]، ويقول أبو الفتح البُستي:

أَحْسِنْ إلىٰ النَّاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهُمُ ... فَطَالَمَا اِسْتَعْبَدَ الإِنْسَانَ إِحْسَانُ

فالإنسانُ مفطورٌ علىٰ حبِّ مَن أحسن إليه، ومأسور بإنعامه عليه، وبذل المعروف له، فكيف بإحسان ربِّ العالمين الذي لا تُعَدُّ نعمُه، ولا تُحصىٰ. إذا تذكَّر العبدُ بعضَ تلك النِّعَم عظَّم الله في قلبه، وذلَّ له بالعبادة، وما تكبَّر، ولا استنكف؛ يقول هودٌ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۡۜطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٦٩﴾[الأعراف]، وقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ١٣٢ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ١٣٣ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٣٤﴾[الشعراء]، وقال شعيب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾[هود: ٦١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ﴾[لقمان: ٢٠]، وقال الله مُوصِيًا موسىٰ في دعوته لقومه: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ٥﴾[إبراهيم] «أي: عِظهم بما سلف من نِعَمي عليهم في الأيَّام التي خلت؛ لأنّها كانت معلومةً عندهم، قال مجاهدٌ: أنجاهم من آل

(١) التحرير والتنوير، (٢٣/ ٣٢١).

(٢) للتوسع انظر: الشِّرك في القديم والحديث (١/ ٣١).

فرعون، وفلق لهم البحر، وظلَّل عليهم الغمامَ، وأنزل عليهم المنَّ والسَّلوىٰ»[(١)]، فأوصاهم موسىٰ بذلك. وقال الخليلُ موصيًا قومَه بشكر نِعَم الله، ومن الشُّكر عبادته: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[العنكبوت: ١٧].

وجعل -سبحانه- شكر النِّعم من مستلزمات العبودية والتَّعظيم له: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[البقرة: ١٧٢]، كما بيَّن أنَّ شكر النِّعَم من المنجيات من العذاب، قال سبحانه: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ۝٣٤ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ۝٣٥﴾[القمر].

وأثنىٰ الله علىٰ أنبيائه بأنَّ تعظيم الله لا يغادر قلوبهم ولذلك تفيض ألسنتهم بشكر الله ودعائه، فقال عن الخليل: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾[النحل: ١٢١].

ودعا سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بذلك، فقال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[النمل: ١٩]، ولمَّا أُحْضِر له عرشُ ملكة سبأ في طرفة عين لم يتباهَ ويفتخر بما حصل له -ولم يحصل لمن قبله ومن بعده-أو يُنسب ذلك إلىٰ جنوده المخلصين، أو أنَّ الله استجاب دعاءه، وإنَّما تذكَّر فضلَ الله عليه في أشدِّ حالات الفخر والزَّهو والفرح، فقال: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى﴾[النمل: ٤٠].

وهذا أثرٌ للتَّربية المباركة من والده عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقد أثنىٰ الله عليهما، فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٥﴾[النمل].

ويوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يتذكَّر نعم الله عليه، ففي بيت العزيز تراوده المرأة عن نفسها فيأبىٰ، ويتذكَّر نِعَم الله عليه، ومنها أن سخَّر له العزيز يحسن إليه، فكيف يقابل إحسانه بالإساءة والنُّكران: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[يوسف: ٢٣][(٢)].

وإنَّك لتتعجب من حاله في السِّجن اجتمع له غُربة الأهل والوطن والاتِّهام بما هو منزَّه عنه، ومع ذلك يتذكَّر نِعَم الله، ومنها: نعمة ما نسيها في سجنه وما كتمها سِرًّا، بل حدَّث بها سجناءه، إنّها نعمة معرفة الله وعبادته وتعظيمه: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝٣٨﴾[يوسف].

---

(١) جامع البيان (١٦/ ٥١٩).

(٢) هذا علىٰ تفسير عود الضَّمير إلىٰ العزيز، وهو قول أكثر المفسرين، أمَّا علىٰ تفسير عود الضَّمير إلىٰ الله؛ فمعناه كما قال الزَّجاج: «إنَّ الله ربِّي تولاني بلطفه، فلا أرتكب ما حرَّمه» (الجامع لأحكام القرآن ٩/ ١٦٥).

ولمَّا كشف حقيقته لإخوته، وتفاجؤوا بحياته وبعلو مكانته، لم يردَّ ذلك لذكائه ولا لحلمه ولا لعلمه، وإنَّما ردّه لله أوَّلًا، ثم لتقوىٰ الله التي لازمها، وذكَّرته بعظمة الله، وإفضال الله عليه، قال: ﴿قَالَ أَئِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[يوسف: ٩٠].

ثمّ في نهاية المطاف توجَّه إلىٰ الله يتمنىٰ أن تتم أكبر نعمة عليه، ليست الملك، ولا تأويل الرُّؤيا، ولا اجتماعه بوالديه، وإنَّما الموت علىٰ الإسلام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١)﴾[يوسف].

وهذا يدلُّك أنَّ وصية الأنبياء لأقوامهم بشكر نِعَم الله= هم أوَّل المطبقين لها، وهم مَن أثنىٰ الله عليهم بقيامهم بِهذه الشَّعيرة العظيمة: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[سبأ: ١٣].

المطلب الرابع: التذكير بقوة الله وبطشه

إنَّ تعظيم الله قائمٌ علىٰ حبِّ الله، وعلىٰ مهابته وخشيته وإجلاله، وقد حرص الأنبياء علىٰ إثارة وإحياء هذا الجانب في أقوامهم، فمرَّة يذكِّرونهم باليوم الآخر: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾[العنكبوت: ٣٦] -علىٰ تفسير الرجاء بالخشية-[(١)] «أي: خافوا بأس الله ونقمته وسطوته يوم القيامة»[(٢)].

ومرَّة بتخويفهم من عذاب الله العاجل والآجل، يقول الخليل لوالده: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥)﴾[مريم]، وقال المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[المائدة: ٧٢]، وقال نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[الأعراف: ٥٩].

ومرَّة بوصف يوم العذاب قُربًا: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (٦٤)﴾[هود: ٦٤]، وقوله: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾[هود: ٦٥]، أو سُوءًا وعِظَمًا لقوله: ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥٦)﴾[الشعراء: ١٥٦].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٣٤٣).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٧٧).

ومرَّة بتذكيرهم بعقوبات الأمم السَّابقة، يقول شعيبٌ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾﴾[هود: ٨٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾[الرعد: ٦] «أي: ما حلَّ بمَن قبلهم من عقوبات»[(١)]، «أوقعنا نقمتنا بِهم، وجعلناهم مِثْلَة لمن اتَّعظ بِهم»[(٢)].

ومرَّة بتخويفهم من الله يقول نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف: ٦٢] «أي: أعلم من قدرته وشدة بطشه أشياء لا علم لكم بها»[(٣)]، ومن أنَّ عقابه لا يُرَدُّ عن القوم المجرمين[(٤)]، «ويتضمن هذا الإجمال البديع تهديدًا بحلول عذاب بهم في العاجل والآجل»[(٥)]. وقال الخليل: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾[الأنعام: ٨١].

ومرَّة بتخويفهم من عظمة الله: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾[هود: ٥٦]، فمقاليد الخلائق ونواصيهم بيده «تحت قهره وسلطانه»[(٦)].

ومرَّة بتخويفهم من غضب الله، قال هودٌ: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾[الأعراف: ٧١]، وقال موسىٰ لقومه: ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾[طه: ٨٦].

ومرَّة بتحذيرهم من الفساد في الأرض؛ لأنَّ كلَّ معصية تُفعَل تدلُّ علىٰ عدم عبودية الله، ونقص عظمته في قلب صاحبها، فهذا شعيبٌ يوصي قومه: ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[الأعراف: ٧٤].

ومرَّة ببيان أنَّ نصرَ الله حليفُ مَن خاف مقامه بين يدي ربِّه، وخاف عقابَه، قال تعالىٰ مخاطبًا رسله بعد تهديد أقوامهم لهم بإخراجهم وطردهم أو بعودتهم إلىٰ الكفر: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾[إبراهيم] «واللَّام للمِلك: عطاءٌ وتمليكٌ ووعدٌ لمن خاف مقامي»[(٧)].

---

(١) والمثُلات: العقوبات المنكِّلات، جامع البيان (١٦/ ٣٥٠).
(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٣٣).
(٣) تفسير البيضاوي (٣/ ٣١).
(٤) جامع البيان (١٢/ ٥٠٠).
(٥) التحرير والتنوير (٨/ ١٩٤).
(٦) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٣٠).
(٧) انظر: التحرير والتنوير (١٣/ ٢٠٧).

المبحث الثاني: هدي الأنبياء في تعظيم الله من خلال الجانب العملي السلوكي

المطلب الأول: اهتمامهم بالعبادة وإكثارهم منها

جعل الله الأنبياء قدوةً للنَّاس، فكما أنَّهم منارات للنَّاس في الجانب النَّظري بأقوالهم أو الكتب التي أُرسلوا بها أو المعجزات التي أُيّدوا بها= فهم قدوة للنَّاس في الجانب العملي السُّلوكي[1]. ومن أولىٰ المسائل العملية في حياة الأنبياء التي يظهر فيها جانب تعظيم الله: الإقبالُ علىٰ عبادة الله. فالأنبياء مع منزلتهم العالية عند الله يُقْبلون علىٰ عبادة الله مبادرةً ومسارعةً ومسابقةً، وخشوعًا -في أدائها- وإتقانًا، وحبًّا لها، واستكثارًا منها.

وقد جاء في النُّصوص نماذجُ من بعض الأنبياء، ونماذجُ من بعض العبادات التي تميَّزوا بها. فمن الأنبياء داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ فقد جاء في الحديث: «كَانَ أَعْبَدَ النَّاسِ، كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا»[2]. وجاء كذلك: «أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَىٰ اللهِ صَلَاةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَىٰ اللهِ صِيَامُ دَاوُدَ، وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَيَصُومُ يَوْمًا، وَيُفْطِرُ يَوْمًا»[3]. ووصفه الله بالإنابة والخشوع وكثرة التَّسبيح، حتىٰ أنَّ الجبال والطَّير تُرَدِّد معه: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾[ص].

من الأنبياء موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ فقد جاء في الحديث: «أَتَيْتُ عَلَىٰ مُوسَىٰ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ»[4].

ومن الأنبياء يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾[الصافات]، أي: بكثرة عبادته وتسبيحه وتحميده قبل البلاء وفي بطن الحوت ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾[الأنبياء: ٨٧][5].

---

(١) وتفعيل جانب الاقتداء بالرُّسل يحول دونه حوائل من أهمها: عدم استشعار بشريتهم -أنّهم يغضبون ويرضون ويحبون ويكرهون- ومن أبرز الحكم في جعل الرُّسل بشرًا ليحسّ الناس بأنّهم مثلهم، فيقتربوا منهم ويخالطوهم، ويقتنعوا بإمكانية الاقتداء بهم، فيقلدوهم، فقد قالتِ الرُّسل: ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾[إبراهيم: ١١].

(٢) أخرجه مسلم (١١٥٩).

(٣) أخرجه البخاريّ (١١٣١).

(٤) أخرجه مسلم (٢٣٧٥).

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن (٨٣٢).

ومن الأنبياء: الذُّرية المباركة آل إبراهيم، قال تعالىٰ: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [ص]، قال قتادة ومجاهد: أُعطوا قوَّةً في العبادة، وبَصَرًا في الدِّين[1]، وقال سبحانه: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾[الأنبياء: ٧٣]،والعجيب هو حال الخليل لما أمره الله أن يُسْكِن زوجَه وولدَه في مكان قفر موحش لا أنيس ولا صاحب، ولا يوجد به مُقَوِّمات الحياة، ومع كلّ ذلك يتْركهم امتثالًا لأمر الله، ويغادر المكان، ويلجأ إلىٰ الله بالدُّعاء، ليس بأن ييسر لهم مُقَوِّمات الحياة ومَن يرعاهم ويحفظُهم من الهوام وشرار الخلق، ولا بأن يربط علىٰ قلوبهم ويتعايشوا مع هذا المكان، فقد انتقلوا من بلاد البساتين والزُّروع والأنهار وجمال الطَّبيعة واعتدال الأجواء إلىٰ الضِّدِّ تمامًا، وإنَّما بأن يقيموا الصَّلاة أوَّلًا، فالأنس بالله قبل البشر، والقيام بالصَّلاة سبيل لفتح أبواب الرِّزق -مع بذل الأسباب- ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، وليس ليؤدُّوا الصَّلاة، فإنَّ من في حالهم قد يؤدِّيها سريعة؛ لأنَّه في همٍّ وكرب وترقب وحذر من جميع الجهات.

وقد أثنىٰ الله علىٰ الأنبياء باهتمامهم بالعبادة وبوصفهم بالعبودية: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ ﴾ [ص: ٤١]، ووصف بها نوحًا: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدًا شَكُورٗا ﴾[الإسراء: ٣]، ووصف بها يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾[يوسف: ٢٤]، ووصف بها جميعَ رسله وأنبيائه، فقال: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾[الصافات]، ووصف موقفهم من العبادات بأمور:

أ- **القوة والصبر والجلَد عليها**، قال سبحانه: ﴿أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾[ص: ٤٥].

ب- **أنَّها مصحوبة بالخشوع والبكاء وتعظيم الله**: فليست حركات جوارح فقط، وإنَّما تؤثِّر في القلوب وتغيِّر السُّلوك، قال سبحانه: ﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾[الأنبياء: ٩٠] لكمال معرفتهم بربِّهم[2]. وقال سبحانه: ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ﴿٥٨﴾ ﴾[مريم: ٥٨] أثَّرت في قلوبهم من الإيمان والرَّغبة والرَّهبة ما أوجب لهم البكاء والإنابة والسُّجود[3]. وقال سبحانه: ﴿ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ

(١) جامع البيان، للطبري (٢١/ ٢١٥).
وتأويل البصائر أنّها في الدِّين والعلم محلُّ اتفاق. انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢١٧).
(٢) تيسير الكريم الرحمن، (ص٦١٨).
(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، (ص٥٧٧).

﴿فِي رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنبياء]، ووصفهم بالصَّلاح يشمل صلاح القلب في كلِّ وقتٍ وصلاح اللِّسان وصلاح الجوارح[١].

ج- **تفرُّغهم لها، واستكثارهم منها، واهتمامهم بها:** قال سبحانه: ﴿وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣] أي: مديمين عليها في أكثر أوقاتهم[٢]. وتزدري حالك في العبادة حين تراهم يُكثرون من ذكر الله، مقبلين علىٰ عبادة الله، متفرِّغين لها، مطيلين لها، ولم ينظروا إلىٰ منزلتهم عند الله، ولم يعتذروا بما هم فيه من همِّ الدَّعوة والجهاد.

د- **المبادرة والمسارعة إليها،** قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الأنبياء: ٩٠] أي: يبادرون إليها، ويكملونها علىٰ الوجه اللائق، ويفعلونها في أوقاتها الفاضلة[٣].

المطلب الثاني: لجوؤهم إلى الله.

إنَّ الإحساس ببشرية الأنبياء، وتعرُّضهم لما يتعرَّض له غيرُهم من الأحاسيس والمشاعر يجعلك تعيش واقعَهم فتدرك عظيمَ صبرهم، وتحمُّلَهم من جانب، وتعرف أنّهم برغم مكانتهم ومنزلتهم عند الله لم يضعُفوا أو يَنْسَوا اللُّجوء إلىٰ الله اعتمادًا علىٰ مكانتهم عند الله، أو محبَّة الله لهم، أو علىٰ فعل الأسباب من جانب آخر.

يوضح الجانب الأوَّل: أنَّ الأنبياء بشر، وليسوا ملائكة، ولا ممَّن اعتزل مخالطة النَّاس، ولا ذو طبيعة جامدة لا يتألم لكلام النَّاس، فلا تُجرَح مشاعره وأحاسيسه، ورغم تلك الأحاسيس المرهفة يستمرون في دعوتهم لقوم مبغضين كارهين ظالمين مجرمين، لا يردعهم خُلُق ولا عقلٌ عن قطع رحم وسفك دمٍ إذا زعزع المعتقد، حينها تدرك عظيمَ صبرهم، وتكنيهم بأولي العزم من الرُّسل، ومن أسبابه: التَّعلق بالله، واللجوء إليه في كلّ أحوالهم وشؤونهم.

ويوضح الجانب الثَّاني: أنَّ الأنبياء ذوو جاه ومكانة عند الله، ومع ذلك لم يلجؤوا إلىٰ الله حال الشِّدة والمصيبة فقط، وإنَّما في كل حال. ولم يسألوا الله بجاههم ومكانتهم وإنَّما بربوبيته لهم، وإفضاله عليهم. ولم يلجؤوا إلىٰ الله قبل فعل الأسباب أو عند تعطلها أو

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن (٦١٧).
(٢) تيسير الكريم الرحمن (٦١٥).
(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن (٦١٨) بتصرف.

عدمها، بل حال فعلها وبعد فعلها. فَفَرَّقوا بين أمر الله لهم بفعل الأسباب وبين الاعتماد عليه، يوقنون أنَّ الله قادرٌ علىٰ أن يحقِّق النَّصر لهم بدون مباشرتهم لفعل الأسباب وتعرضهم للمحن، كما وعد في قوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾[الصافات]، ولكنَّه أراد بحكمته أن يبذلوا الأسباب، ويتعلَّقوا به، لا بها، فهو وليُّهم وناصرهم في النِّعمة، كما أنَّه وليُّهم ومُعينهم في النِّقمة: ﴿نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[الأنفال: ٤٠].

ويعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لمَّا طلبه بَنُوه أن يرسل معهم أخاهم بنيامين أخذ بالأسباب، فقال: ﴿حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ﴾[يوسف:٦٦]، ولمَّا أخذ بالأسباب وأعطوه موثقهم، بيَّن لهم أن الأهم من فعل الأسباب هو التَّوكُّل علىٰ الله: ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[يوسف:٦٦]، وقبلها قال: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[يوسف: ٦٤]، ثمّ أوصىٰ بنيه بفعل الأسباب: ﴿لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾[يوسف: ٦٧]، ثم ربطهم بالله: ﴿وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[يوسف: ٦٧]، وأثنىٰ عليه الله فقال: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[يوسف: ٦٨] «وإنَّه لذو علم أنَّ دخولهم من أبواب متفرِّقة لا يغني عنهم من الله شيئًا»(١).

بعد ما عرفت موقف الأنبياء من الأسباب، وأنّها لا تغني عن اللُّجوء إلىٰ الله، نستعرض أدعيتهم فنجد فيها الانكسار وإظهار الضَّعف والحاجة؛ لأنَّ «العبد كلَّما عظمت معرفته بالله وقويت صلتُه به كان دعاؤه له أعظم، وانكساره بين يديه أشدَّ، ولهذا كان أنبياء الله أعظم النَّاس تحقيقًا للدُّعاء، وقيامًا به في أحوالهم كلِّها. وقد أثنىٰ الله عليهم بذلك في القرآن، وذكر جملةً من أدعيتهم في أحوال متعدِّدة ومناسبات متنوِّعة»(٢)، فيدعون الله **في أمور دينهم**: بأن يجنِّبهم الشِّرك: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾[إبراهيم: ٣٥]. وضلالَ أقوامهم: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[الشعراء]. ويعينهم علىٰ أداء الشَّعائر: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾﴾[إبراهيم]. وينجِّيهم من الفتن: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾[الممتحنة]. ويصرف عنهم كيد الكائدين: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾[يوسف: ٣٣]. وينصرهم علىٰ القوم المجرمين: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ

(١) قاله الضَّحاك عن ابن عباس. زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٤٥٥).

(٢) فقه الأدعية والأذكار (٩).

﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾[الشعراء]، ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾[القمر: ١٠]. ويختم لهم بالخاتمة الحسنة ويلحقهم بالصَّالحين: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]. ويرزقهم الجنَّة: ﴿وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾[الشعراء]. ويغفر لهم ذنوبهم: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾[القصص: ١٦]. ويعفو عن نسيانهم: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[الأعراف]. ويعينهم علىٰ شكره وعبادته: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل: ١٩]. ويعينهم في أداء رسالتهم: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾[طه]. وأن يصلح ذرِّيتهم وأتباعهم: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[إبراهيم: ٣٧]، وقال: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾[البقرة].

ويدعونه في **أمور دنياهم**، فيلجؤون إليه عند المرض: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[الأنبياء: ٨٣]. وعند طلب الولد: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾[الصافات]، وقال: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾ [مريم]. وعند ضيق الحال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[القصص: ٢٤].

المطلب الثالث: محبة الله وطلب رضاه

إذا كان الله وصف المؤمنين بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[البقرة: ١٦٥] «أي: لحبهم لله، وتمام معرفتهم به، يعبدونه وحده، ويتوكلون عليه، ويلجؤون في جميع أمورهم إليه»[(١)]، ووصفهم بقوله: ﴿بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[المائدة: ٥٤] فلأجل محبَّته توجَّهوا إليه بالعبادة وحده، واستجابوا لتعاليمه برغبة وشوق[(٢)]، فإنَّ الأنبياء أولىٰ وأشد حبًّا لله، فقد طهَّرهم الله، وزكَّاهم واصطفاهم واجتباهم، قال تعالىٰ عن موسىٰ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾[طه: ٣٩]، ﴿إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[الأعراف: ١٤٤]، وقال عن يوسف: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٧٦).
(٢) التفسير الوسيط (٤/ ١٩٧).

[يوسف: ٢٤]، وقال عن الأنبياء كلِّهم: ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَآ﴾[مريم: ٥٨] هؤلاء الصَّفوة تحلَّوا بأعظم صفات المؤمنين، وهي محبَّة الله، وتأمَّلْ حديثَ إبراهيم عن ربِّه: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء]، ووصفَ موسىٰ شوقَه للقائه: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[طه: ٨٤] «طلبًا للقرب ومسارعة في رضاك وشوقًا إليك»[(١)]، «وإلىٰ مكالمتك وطمعي في زيادة رضاك عني»[(٢)]. ومن محبته لله ولسماع كلامه أن طلب التَّرقي ورؤية الله: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾[الأعراف: ١٤٣] «تشوَّق إلىٰ رؤية الله، ونزعت نفسُه لذلك حبًّا لربِّه وموَدَّةً لرؤيته»[(٣)].

ووصف الله عبادة الأنبياء -ويمثِّلها الدُّعاء- أنّها قائمة علىٰ الحبِّ والخشية: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنبياء: ٩٠] «راغبون راهبون، لا غافلون، ولا لاهون، ولا مُدِلُّون»[(٤)].

ومن دلائل محبَّتهم له: عدم سؤالهم الأجرَ علىٰ دعوتهم: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾[الأعراف][(٥)]، أي: عن حُسن نيَّة وإرادة خير[(٦)]، وقال: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾[الشعراء].

ومن دلائل محبَّتهم لله: أنّهم أوَّل المستجيبين لما يأمرون به أقوامَهم، ولا يخالفونهم، ولا يتخلَّفون عمَّا يأمرونهم به، ولذا عَقِب قولهم لأقوامهم: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾= يأتي تذكيرهم لأقوامهم بأنَّهم المستجيبون: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٥١١).
(٢) التفسير الوسيط (٩/ ١٣٦).
(٣) تيسير الكريم الرحمين (٣٠٢).
(٤) تيسير الكريم الرحمن (٥٣٠).
(٥) ولتقريب صورة أنَّ سبب الصَّبر العظيم هو طلبُ مرضاة الحبيب، وعِظَم حبِّه في القلب= أتذكر موقف بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمَّا كان يعذِّبه كفَّار مكّة في بطحاء قريش، فلم يطاوعهم وينطق بما أرادوا، وإنَّما ثبت علىٰ وصف الله بالألوهية (أحدٌ أحد، أحدٌ أحد). وكلّما زادوا جسمَه عذابًا؛ زاد لسانُه لها ترددًا لها.
(٦) التحرير والتنوير (٨/ ١٩٤).

﴿ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾[يونس] أي: أوّل فاعل لما أمرتكم به، وأوّل داخل[١]، أتبع الدِّين الحقَّ ولو كنتُ وحدي[٢]. ومثلها قول شعيب: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾[هود: ٨٨] «أي: ما أريد ممَّا نهيتكم عنه أن أمنعكم أفعالًا وأنا أفعلها، لم أكن لأنهاكم عن شيءٍ وأنا أفعله»[٣].

ومن دلائل محبَّتهم لله: أنّهم يعرضون عن التُّهم والعوائق التي تعترضهم والشُّكوك والعقبات، ولا ينشغلون بها، وإنَّما يُركِّزون علىٰ دعوتهم: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾[الأعراف] فاتِّهامهم ردَّه بكلمة واحدة، ولم ينشغل به، ولا بسوق الأدلة علىٰ ذلك، ولم يناقشهم وركَّز حديثه علىٰ دعوته:

١- فإنَّه رسولٌ.
٢- مبلِّغٌ عن الله.
٣- وظيفتُه البلاغ والنَّصح.
٤- والإخبار بما لا يعلمونه[٤].
٥- تكرار النَّصح، ولو كرهوا ذلك، ولو آذوه[٥].

ومن دلائل محبَّتهم لله: حرصُهم علىٰ إبلاغ الدَّعوة لقومهم بصور شتىٰ، واستمرارهم في الدَّعوة والبذل رغم استهتار أقوامهم، وتكذيبهم. ووالله، إنَّك لتعجب من نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي ما زال ينصح القوم أنفسهم، ويتكرَّر علىٰ الوجوه نفسها، ويغشىٰ الأماكن نفسها، ولم يملَّ مع قوم مستهترين مستهزئين مبغضين لدعوته، فبمجرد أن ينطق لسانُه بالدَّعوة يضعون أصابعهم في آذانهم. ووصل الحال إلىٰ أنَّ مجرد رؤيتهم لنوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لا تُطاق، فيستغشون ثيابَهم «لئلا يسمعوا دعاءه، ولئلا يروه، وليُعَرِّفُوه إعراضَهم عنه»[٦]، ومع تكراره وصبره عليهم، إلَّا أنّهم زادوا نفورًا وإصرارًا علىٰ الباطل[٧]. ومع ذلك يستمرُّ داعيًا لهم ليلًا ونهارًا، سرًّا وجهارًا، حبًّا لله وللقيام بما أمره به، وللخير لقومه لئلا يتعرَّضُوا لعقاب الله.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٣٦٩).
(٢) التحرير والتنوير (١١/ ٢٤١).
(٣) التحرير والتنوير (١٢/ ١٤٣).
(٤) التحرير والتنوير (٨/ ١٩٣).
(٥) التحرير والتنوير (٨/ ١٩٣) بتصرف.
(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٣٠٠) بتصرف.
(٧) الوسيط (١٥/ ١١٤).

ومن دلائل محبَّتهم لله: المبادرةُ لأوامر الله، والتَّسليم بها بلا تردد، ولا اعتراض، ولا نقاش، وإنَّما تسليمٌ تامٌّ. فالخليل يأمره الله بذبح ابنه فيستجيب، والعجيب أنَّ التَّسليم لم يكن من الأب فقط، بل من الابن كذلك: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[الصافات: ١٠٢].

المطلب الرابع: الخوف من الله وخشيته

هذا جانب مهمٌ يستفيده من دَرَس حياةَ الأنبياء، فرغم ما حباهم الله من المكانة، وتصريحه بحبِّه لهم، واصطفائه إيَّاهم من بين البشر، وتأييدهم بالمعجزات، واختصاصهم بعمل جليل كالدَّعوة وبناء البيت، وإمضائهم حياتهم كلّها في العمل للدِّين، إلَّا أنَّهم يعظِّمون الله، ويجلُّونه، ويخشونه، ويقدِّمون بين يدي الدُّعاء ضعفَهم وحاجتهم، لا مكانتهم وعملهم وجاههم.

والأعجب من ذلك: أنّهم بعد هذا العمل الطويل؛ لم يَمُنُّوا به علىٰ الله، أو يصيبهم العجب، بل يدعون الله أن يلحقهم بالصَّالحين. فلا عجبٌ ولا غرورٌ ولا أمانٌ من غضب الله. ومع حبِّهم لله يخشونه ويخافونه، ولا يأمنون من مكره كما لا يقنطون من رحمته: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾[الأحزاب: ٣٩]، وقال سبحانه: ﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[الأنبياء: ٩٠]. وقال صالح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ﴾[هود: ٦٣]؛ إن عصيته «في المساهلة في تبليغ الرسالة والمنع عن الشرك به والمجاراة معكم فيما تشتهون ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ﴾ تجعلوني خاسرًا بإبطال أعمالي، وتعريضي لسخط الله»[(١)]، ومثل قول نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠﴾ [هود]، وقال تعالىٰ عن موسىٰ وهارون: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٨ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ٤٩﴾[الأنبياء].

وانظر إلىٰ نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ رغم عاطفة الأبوَّة، وفهمه أنَّ الله وعده بنجاة أهله يشاهد ابنَه يغرق في تلك الأمواج الهائلة، فلم يظهر من ألفاظه الغضب والاعتراض، وإنَّما استفهام قدَّمه لله بالنِّداء: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ﴾[(٢)] فيها «استعطاف ورجاء»[(٣)]، وقدَّمه بوصف الله بصفة

(١) روح المعاني (٦/ ٢٨٧).
(٢) التفسير الوسيط (٧/ ٢١٢).
(٣) التفسير الوسيط (٧/ ٢١٢).

الرُّبوبية، وختمه بوصفه بصفة الحكمة فيما يأمر ويُقدِّر: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [هود]، أي: «لا رادَّ لما تحكم به، ولا مُعَقِّب لحكمك، وحكمك هو الحقُّ والعدل، المنزَّه عن الخطأ والمحاباة، ومن إجلاله لله لم يصرح بمطلوبه -نجاة ابنه-»[(١)][(٢)] فضلًا عن الاعتراض أو إظهار الغضب أو النَّدم، ولما بيَّن الله له الحكمةَ؛ ردَّ نوحٌ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بأسلوب الخائف من ربِّه، واتَّهم نفسه بالظُّلم، وطلب المغفرة: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[هود: ٤٧].

فأين من يعترض علىٰ أقدار الله، وعلىٰ شرع الله وعلىٰ أسماء الله وصفاته، فيدخل هواه فيها، ولا يُسلِّم بِها= من سِيَر هؤلاء الصَّفوة؟

ولأنَّ قلوبَهم امتلأت من خشية الله لم يعد يخشون الخلقَ، فيقف هودٌ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وحيدًا أمام قومه يصرِّح ببراءته من شركهم بالله، ثمّ يقول متحدِّيًا: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾[هود: ٥٥].

ووصفهم الله بالخوف منه، وأنَّ ذلك من أسباب نصرته لهم، فقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾[إبراهيم: ١٤] أي: «هكذا فعلي لمن خاف مقامَه بين يديَّ، وخاف وعيدي، أنصره علىٰ من أراد به سوءًا، وأُهْلِك عدوّه، وأخزيه، وأورثه أرضه وديارَه»[(٣)]، «اللَّام للمِلك، أي: ذلك عطاءٌ وتمليكٌ لأنَّكم خِفتم مقامي»[(٤)].

ومن جوانب خشيتهم لله: أنّهم يبادرون للتَّوبة، ولا يؤخرونها أو يسوِّفُونها إذا حصل منهم خطأ أو ذنب.

ومن إجلالهم لله: أنَّهم لا يستصغِرون الأخطاء والمعاصي لكونها من صغائر الذُّنوب، وكما قال أويس القرني: لا تنظر إلىٰ صِغَر الخطيئة، ولكنِ انظر إلىٰ عظمة مَن عصيت[(٥)].

ووصف الله عبادتهم بأنّها قائمة علىٰ الخشوع والخوف من الله: ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩﴾[مريم: ٥٨]، وقال: ﴿قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا

---

(١) التفسير الوسيط (٧/ ٢١٣) بتصرف.

(٢) ودعاؤه علىٰ طريقة دعاء أيوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بالتَّلميح بدلًا عن التَّصريح: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[الأنبياء: ٨٣]. انظر: إرشاد العقل السليم (٤/ ٢١٢) بتصرف.

(٣) انظر: جامع البيان، (١٦/ ٥٤٢).

(٤) انظر: التحرير والتنوير، (١٣/ ٢٠٧).

(٥) صفة الصفوة، لابن الجوزي (٢/ ٣١)، تحقيق: أحمد علي، دار الحديث، طبعة ١٤٢١هـ.

يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾[الإسراء].

وقال تعالىٰ عن إبراهيم وإسماعيل بعد أن فرغا من بناء البيت -وهو عمل عظيم خصَّهما الله به من بين البشر-: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[البقرة: ١٢٧] خافا ألَّا يُتقبَّل منهما عملَهما، فسألا الله القبول: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ عملنا بفضلك، ولا تردَّه علينا[١] «سؤال القبول المشعر بخوف الرَّدِّ»[٢].

وفي تخويفهم قومهم من عذاب الله تجد لفظة: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩]، فمن لا يخاف من الله لا يمكن أن يُخَوِّف غيرَه، بل يزيد في رجائه وفتح المجال أمامه والتماس المعاذير له، إلَّا أن أنبياء الله حَذَّروا قومَهم من الله، ومن بطشه. ووصفوا عذابَه: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، أو: ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[هود: ٣٩]، أو: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[الأعراف: ٧٣]، أو: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾[هود: ٨٤].

وختموا كلامهم بـ ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف: ٦٢] «من أن عقابه لا يرد عن القوم المجرمين»[٣].

ومن خوفهم وخشيتهم لله: علمُهم أنَّهم لو أشركوا؛ فلن يغفر الله لهم: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[الأنعام: ٨٨]، أي: «ولو أشرك هؤلاء الأنبياء -الذين سمَّيناهم-، بربِّهم لبطل أجر أعمالهم التي كانوا يعملون؛ لأنَّ الله لا يقبل مع الشِّرك به عملًا»[٤].

---

(١) جواهر الأفكار ومعادن الأسرار (٣٤٦).
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢/ ١٥٨).
(٣) جامع البيان، للطبري (١٢/ ٥٠٠).
(٤) جامع البيان، للطبري (١١/ ٥١٣).

الخاتمة

وبعد أن وصلنا إلىٰ نهاية البحث؛ فإنِّي أحمد الله علىٰ نعمة التَّيسير والتَّمام، وأسأله أن يبارك في البحث، ويكتب الأجر لكاتبه وكلّ من قرأه.

وأحبُّ التَّنويه إلىٰ أنَّ الإنسان يطأطئ رأسه تواضعًا لأولئك العظماء الذين قد نعرف أجزاء من حياتهم -ونجهل الكثير- ومع تلك المعرفة النَّاقصة لم نُولها الأولوية والاهتمام والتأمل، وربطها بواقعنا أو حياتنا فإنَّ الله لم يأمرنا باتِّخاذهم قدوة، إلَّا لأنّهم بلغوا الكمال علىٰ مستوىٰ الأزمان، وجمعوا الرُّؤية الوسطية في التَّعامل مع الله ومع البشر.

وهذا البحث محاولة لكتابة وجمع إشارات بسيطة في حياة أولئك العظماء تكون مفاتيح للتأمل، وللغوص في سيرهم وحياتهم ودعوتهم، واستنباط الدُّروس والعبر منها، وربطها بواقعنا والخروج بالمقاصد العامَّة الجامعة بينهم عليهم السلام.

ولفت انتباهي الحاجّة إلىٰ جمع الأحاديث والآثار الصَّحيحة الواردة عنهم؛ لأنَّ القرآن آياته معدودة محفوظة، أمَّا السُّنَّة فحُفَّاظها قليل، وليست أحاديث الأنبياء مجموعةً في باب أو فصل معيَّن، وإنَّما مبثوثة في كتب السُّنَّة. وقد يكون المنتشر عند النَّاس من بعض مواقف الأنبياء كالتَّوبة والخوف من الله ضعيفًا أو مرويًّا عن بني إسرائيل، وإليك بعض الفوائد من البحث:

١- حاجتنا إلىٰ التأمل والتعرف في حديث الأنبياء عن الله تعالىٰ، فهم أعرف الناس، وأعلمهم بالله تعالىٰ.
٢- أنَّ الأنبياء يُكثِرون من الاستدلال بصفة الرُّبوبية، ومفتاحها صفة الخلق وينوِّعون الاستدلال بها فمرَّة بخلق السَّموات والأرض، ومرَّة بخلق الإنسان، ومرَّة بخلق الكون وتسخيره للإنسان.
٣- فقه الأنبياء بأسماء الله وصفاته، فيستخدمون الاسم في مكانه الأنسب له.
٤- تنوّع أساليب الأنبياء في حديثهم عن صفات الله مرَّة بالسُّؤال عن الآلهة الأخرىٰ ما هي؟ أو بسؤال قومهم ماذا تعبدون؟ ويطلبون منهم تعداد صفاتها التي جعلتها آلهة، أو بالتنصيص علىٰ عجزها وضعفها، أو بالمقارنة بينها وبين صفات الله.
٥- أنَّ حديث الأنبياء لأقوامهم عن إفراد الله بالعبادة، سبقه ولحقه حديثٌ وتعريفٌ بالله وصفاته، وأنَّه هو الرَّبُّ والإله الكامل، فلا ازدواجية بين الرَّبِّ والإله، ولا يوجد إله ليس ربًّا، ولا ربٌّ لا يصلح أن يكون إلهًا.

٦- اهتمامهم بتوحيد العبادة وتنوّع أساليبهم في إقناع أقوامهم به.
٧- من أساليب الأنبياء في العقيدة غرس المعتقد الصَّحيح وزعزعة المعتقد الفاسد.
٨- أنَّ رسل الله يفتخرون بعبادة الله، وأنّها دينهم وهويتهم، ويسألون الله الموتَ عليها.
٩- من أساليب الأنبياء لزرع المعتقد السَّليم تحبيب الله في قلوب النَّاس، فما أحوجنا لهذا الأسلوب بدلًا من زرع الخوف من الله فقط، فالحبُّ مقدَّمٌ، ثمّ يزرع معه الخوف، ليكون هناك توازنٌ في محبَّة الله، فتصبح محبّةً مقرونةً بإجلال وتعظيم.
١٠- أنَّ الأنبياء كما كانوا قدوة في كلامهم وحديثهم؛ فلقد بلغوا القمة في أفعالهم وصفاتهم، سواء في تعاملهم مع الله، أم في تعاملهم مع البشر.
١١- حرص الأنبياء رغم منزلتهم عند الله علىٰ عبادته مبادرةً ومسارعةً وخشوعًا وإتقانًا وحبًّا واستكثارًا.
١٢- من معالم عبادة الأنبياء أنَّهم وُصِفوا:
أ- بالقوة والجلد فيها.
ب- أنها خاشعة تؤثر في قلوبهم وسلوكهم.
ج- اهتمامهم بها واستكثارهم منها.
د- مبادرتهم ومسارعتهم إليها.
١٣- محبّة الأنبياء لله، ومن دلائل هذه المحبة دلائل كثيرة، منها:
أ- صبرهم علىٰ أذىٰ أقوامهم طلبًا لرضىٰ الله ومحبته.
ب- عدم سؤالهم الأجر علىٰ دعوتهم
ج- مبادرتهم علىٰ فعل ما يأمرون به أقوامهم
د- انشغالهم بالدَّعوة عن ردِّ التُّهم والتَّفكير في العقبات.
١٤- جمعهم بين المكانة العالية عند الله والقرب منه وبين العلم به، ولذا توازنوا في حبِّه وخشيته، فجمعوا بين محبَّته الحبَّ الشَّديد وبين إجلاله وتعظيمه وخشيته، فلم يطغَ جانبُ الحبِّ فيوقعهم في التَّهاون في المعاصي، ولم يطغَ جانب الخوف فيجعلهم غير متلذذين بالله وبالقرب منه، وبالشَّوق إلىٰ لقائه، والأنس به. والله أعلم.

المصادر والمراجع

١- إرشاد العقل السَّليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي، إحياء التراث العربي.

٢- الأسماء الحسنىٰ تصنيفًا ومعنىٰ، ماجد آل عبد الجبار، الطبعة الأولىٰ ١٤٣٣هـ.

٣- اشتقاق أسماء الله، عبد الرحمن الزجاجي، تحقيق: د. عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ

٤- الإفصاح عن معاني الصحاح، يحيىٰ بن هُبَيْرَة، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن ١٤١٧هـ.

٥- بدائع التفسير، لابن قيم الجوزية، تحقيق: يسري السيد وصالح الشامي، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٧هـ.

٦- بدائع الفوائد، لابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت.

٧- تاج العروس، للزبيدي، المطبعة الخيرية، مصر، الطبعة الأولىٰ، ١٣٠٦هـ.

٨- التحرير والتنوير، تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

٩- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولىٰ ١٤٠٣هـ.

١٠- تفسير البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث الطبعة: الأولىٰ - ١٤١٨هـ.

١١- تفسير الفاتحة والبقرة، محمد بن العثيمين، دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٣هـ.

١٢- تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.

١٣- التفسير الوسيط، لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر، الطبعة الأولىٰ ١٩٩٨م.

١٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠هـ.

١٥- جامع البيان، للطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠هـ.

١٦- جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ.

١٧- الجامع الكبير، محمد بن عيسىٰ الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م.

١٨- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ.

١٩- جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار، عبد القادر بن أحمد بدران، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠هـ.

٢٠- الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية، للسعدي، دار ابن القيم، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

٢١- دعوة الرسل، لمحمد أحمد العدوي، تحقيق: عمرو شرقاوي.

٢٢- روح المعاني، للآلوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ ١٤١٥هـ.

٢٣- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٢هـ.

٢٤- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٥هـ.

٢٥- الشرك في القديم والحديث، أبو بكر محمد زكريا، مكتبة الرشد، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١هـ.

٢٦- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين.

٢٧- صحيح البخاري، دار السلام، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

٢٨- صحيح مسلم، دار السلام، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ.

٢٩- صفة الصفوة، لابن الجوزي، تحقيق: أحمد علي، دار الحديث، طبعة ١٤٢١هـ.

٣٠- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، الطبعة: السابعة، ١٣٧٧هـ.

٣١- فقه الأدعية والأذكار، للشيخ عبد الرزاق البدر، دار كنوز إشبيليا، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٦هـ.

٣٢- فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرىٰ - مصر، الطبعة: الأولىٰ ١٣٥٦هـ.

٣٣- القاموس المحيط، للفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ.

٣٤- الكافية الشافية، لابن القيم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤١٧هـ.

٣٥- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، الطبعة: الثالثة ١٤١٤هـ.

٣٦- مدارج السالكين، لابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، الطبعة: الثالثة ١٤١٦هـ.

٣٧- المستدرك علىٰ الصحيحين، للحاكم تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولىٰ ١٤١١ه.

٣٨- معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ.

٣٩- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

٤٠- المفاتيح في شرح المصابيح، الحسين المُظْهِري، تحقيق ودراسة: لجنة بإشراف: نور الدين طالب، دار النوادر، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٣٣هـ.

٤١- المنهاج شرح صحيح مسلم، ليحيىٰ بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

٤٢- المنهج القرآني في تعظيم الله، سليمان عقاب الزعبي، رسالة دكتوراه في جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن، ٢٠١٥م.

٤٣- منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، محمد الأمين المختار الشنقيطي، الدار السلفية - الكويت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٤هـ.

٤٤- النبوات، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠هـ.

٤٥- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم البقاعي، دار الكتاب الإسلام، القاهرة.